أفق الحدث وتداخل السرد في قصيدة ملحمة الحسين للشاعر جورج شكور

الدكتور
عـواد كاظم الغزي
جامعة ذي قار / كلية الآداب
الدكتور
حسين لفتة حافظ
مركز دراسات الكوفة / جامعة الكوفة

أفق الحدث وتداخل السرد في قصيدة ملحمة الحسين للشاعر جورج شكور

الدكتور
عواد كاظم الغزي
جامعة ذي قار / كلية الآداب
الدكتور
حسين لفتة حافظ
مركز دراسات الكوفة / جامعة الكوفة

مقدمة:

امتاز الشعر بخصوصية فنية كونه كلام فني غير مباشر الغرض منه التأثير في المتلقي، أي ان وراء فن الشعر هدف جمالي غير مباشر يأتي على شكل إيحاء، لهذا يكثر فيه التصوير ويتكثف الإيقاع، فالشاعر يسلك فيه كل الطرق فتكون صياغته هي المقصودة في سبيل التأثير، لذلك نلاحظ اختلاف اللغة في الاستعمال بين الشعر والنثر، فاللغة حينما تكون شعراً غير اللغة عندما تكون نثراً، بسبب تغير مستوى التكثيف والانتقاء الذي يأتي في الشعر خدمة للشعرية كذلك طبيعة مستوى الانتقاء في النثر يخدم النثرية.

أما عن موضوع الدراسة فيتناول دراسة وتحليل تقنيات الحدث والسرد في قصيدة (ملحمة الحسين) للشاعر جورج شكور التي نشرتها جريدة البينة في العدد (٢٠٣) لسنة ٢٠٠٦م.

ولعل الشيء الذي يستحق الاهتمام أكثر من أي شيء آخر ضمن حالة تحليل النص الأدبي هو ان النصوص الأدبية، ومنها قصيدة الشاعر جورج شكور (ملحمة الحسين)، هي أعمال لغوية تتمتع بقوة فريدة وتعبيرها بصورة عامة يظل في الذاكرة فهي أعمال لغوية آسرة على نحو غير عادي، تأسر الانتباه بما تريد قوله، كما تفرض الاحترام بما تتمتع به من توكيدات ومن ذاتية فريدة فهي ضمن هذا الإطار تختلف عن معظم الأعمال اللغوية الأخرى، التي قلما تمتلك القدرة

على استدعاء الاهتمام المتكرر بصيغها الفريدة وينطبق هذا الكلام على النص ـ موضوع الدراسة ـ الذي استنفد الأغراض التي أدت ظروف معينة الى ظهوره، لهذا كان الحديث مركزا على الأفكار التي ننظر إليها داخل هذا النص ليس بصفتها مجرد أفكار مألوفة، وإنما مجرد دلالات فريدة تتطلب ردود أفعال فريدة، لهذا كان الاهتمام منصبا على الطابع الفريد للحدث، الذي استطاع الشاعر من خلاله ان يبني قصيدته (ملحمة الحسين) وذلك بتداخل السرد واليات وتقنيات هذا السرد التي وظفها الشاعر، مع إعطاء الاهتمام للتوكيد والتفاصيل التي يتم إخضاعها للطريقة التي يتم بها تحويل المادة المألوفة والمعروفة التي تتمثل بواقعة الطف الأليمة، بعد أن أعاد الشاعر تشكيل الحدث ليخرج على شكل نص مدهش بفرادته وبطريقة تناوله للأحداث بطريقة تداخل السرد وهو ما يحاول البحث دراسته.

أولا : النص

١ على الضمير دم كالنار موار إن يذبح الحق فالذباح كفار
٢ دم (الحسين) سخي في شهادته ما ضاع هدراً، به للهدي أنوار
٣ وللشهادة طعم لم يذقه سوى الشم الأولى اقسموا أن يظلموا ثاروا
٤ قال الأئمة، وائتمت بهم أمم قال الخصوم، وصدق القول إصرار:
٥ أما (الحسين) ربيب للنبي، أما نما له في فؤاد الجد إيثار
٦ سماه ريحانة الشبان حالية على الجنان شذا الريحان معطار
٧ وقبل الثغر يحبو روحه نسماً كما تفاوح في الأسحار أزهار
٨ أما (الحسين) وريث (للعلي) فتى الفتيان من نهجه في السر أسرار؟
٩ وسيفه (ذو الفقار) الفذ ذو الشطب شهم التطلع فيما الغير غدار
١٠ خليفة المصطفى (يوم الغدير) وقد أتاه من الغيب : بلغ أنت تختار
١١ فقال : من كنت مولاه، علي له مولى وبايع بالآلاف حضار..
١٢ أكبرت عن ادمعي يوم الحسين وللشهادة البكر أعراس وإكبار
١٣ في ثوبه احتشدت دنيا، وقد نهضت أحلام أمته إذ ضج إنذار

١٤ هـذا (يزيـد) دعـي الحكـم ينـذره ... وهـل يبايـه بالأحكـام فجـار؟!
١٥ رد (الحسين) بـ(لا) كالسيف صارمةٍ ... وسـيد الحـق بـ(اللاءات) زأار
١٦ سمعـت جـدي رسـول الله حرمهـا ... فـلا خلافـة في (سـفيان) تشـتار
١٧ المبـدأ الحـر سـر لا أدنسـه ... مقـدس وحمـاة السـر أحـرار
١٨ حار(الوليد) فما غدر الحسين سوى ... غـدرٍ بـرأسٍ بـه يسـتكبر الغـار
١٩ خسـرت ديـني وجنـات النعـيم إذا ... خسـرته، مـا أنـا والله جـزار
٢٠ إن لم يبـايع، فـلا أثـم، ولا جـرم ... ولا جنـاح عليـه الحـر جبـار
٢١ سـار (الحسـين) إلى تـرب الـنبي تقـىً ... مسـتلهماً سـره للقـبر أسـرار
٢٢ صـلى مليـاً، فـأغفى راودتـه رؤى ... أن جـده قـال، مـا في القـول إضـمار:
٢٣ إنـي أراك ذبـيح (الطف)منطرحـاً ... في (كـربلاء) ومنـك الـدم فـوار
٢٤ ظمـآن ويلـك لا تسـقى وهـم بهـم ... إلى شـفاعتي السـمحاء أوطـار
٢٥ يرجونهـا؟ لا، وربـي لـن أجـود بهـا ... يـوم القيامـة ،لا، لم يـنج أشـرار
٢٦ أقدم (حسين) حبيبي، اهلك اشتعلوا ... شـوقاً إليـك غـداً للشـوق أبصـار
٢٧ مـدارج الـدنيا العليـا توزعهـا ... روح الشـهيد وأبـرار وأطهـار
٢٨ قـال (الحسين):(مشيناها خطىً كتبت) ... إلى الجهـاد، وإلا هـدنا العـار
٢٩ نحـن النسـور، سمـاء الله مسـرحنا ... أرواحنـا، فـوق، إن ضـاقت بنـا الـدار
٣٠ مضـى إلى مكـة البطحـاء معتزمـاً ... لم يثنـه ناصـح، لم تجـد أعـذار
٣١ (لا خارجـاً أشـرا، لا مفسـداً بطـراً) ... بـل هـم أمتـه في البـال دوار
٣٢ مـن العـراق أتتـه الكتـب، قائلـةً: ... أنـا فـداك، فأقـدم نحـن أنصـار
٣٣ سـرى (الحسـين) بركـب لا يماثلـه ... ركب، فكيف التقت شمس وأقمار؟!
٣٤ وظـل يسـتطلع الأخبـار مبتهجـاً ... حتـى أتتـه بمـا لم يهـو أخبـار:
٣٥ قلـوبهم معـه في السـر خافقـةٌ ... عليـه أسـيافهم في الجهـر جهـار
٣٦ درى (يزيـد) بمـا دار الزمـان بـه ... فـدار منـه علـى الثـوار سمسـار
٣٧ هـذا يعللـه بالمغريـات، وذا ... بالمرهبـات، وجـيش الجـور جـرار
٣٨ تشرى شعوب إذا جاعت وان جزعت ... فـالظلم مرتهـب، والمـال غـرار
٣٩ لكنمـا شـهداء الحـق مـن كبـر ... والشـامخ الحـر لا يغريـه دينـار
٤٠ يـا(كربلاء) أأنـت الكـرب مبتليـاً ... وأنـت جـرح علـى الأيـام نغـار؟

٤١ لا، لا، وثيقة حق أنت شاهدة إن في الخليقة أشرار وأخيار
٤٢ وجولة الحق، ان طالت لها اجل والحق جولته في الدهر أدهار
٤٣ كل الزعامات، ان شيدت على ظلم كالبطل ولت، وصرح الظلم ينهار
٤٤ ووحدها نسمات الروح باقية على الزمان، كأن العمر أعمار
٤٥ يا (كربلاء) لديك الخسر منتصر والنصر منكسر، والعدل معيار
٤٦ وفيك قبر غدت تحلو محجته يهفو إليه من الأقطار زوار
٤٧ فأين قبر(يزيد) من يلم به غير التراب، وفوق الترب أحجار؟
٤٨ يوم(الحسين) بك الأيام شامخة وقد تشابه في التاريخ أدوار
٤٩ ذكرتني كأس سم راح يجرعها (سقراط) حراً، ولم تأسره أفكار
٥٠ ذكرتني رأس(يوحنا) به حلمت أحدى العواهر، والظلام عهار
٥١ ذكرتنيه (يسوع) الحق، مرتفعاً على الصليب، وفي كفيه مسمار
٥٢ ظمآن قبلك لا يسقى، وان كرموا أنا عليه، فكم في الخل إمرارُ!
٥٣ إن العقائد ما هانت، وما وهنت وإن أحاط بها خطب وأخطار
٥٤ زين الشباب، لكم تهواك أشعار وفيك تحلو أحاديث وأسمار!
٥٥ في (كربلاء) سكبت العمر ملحمة بالدم خُطت، وخطت عنك أسفار
٥٦ رامحتهم ،وصهيل الخيل حمحمة سايفتهم وصليل السيف بتار
٥٧ ضجت لهيبك الصحراء مجفلةً كأنما هب في الصحراء إعصار
٥٨ لكن هويت، وما الأفق كوكبة إلا عليك بكت، والدمع مدرار
٥٩ لم تكمل الشوط لكن ظل ملتفتاً إلى مثالك في الفرسان مضمار
٦٠ قد جذ رأسك بالأسياف واقتطعت رؤوس قومك، قلب الحقد قهار
٦١ يا ويحهن على الأرماح دامية تخالها النخل، لاحت منه أثمار
٦٢ والنائحات بهن الآه لاهبة خدودهن، عليها الدمع حفار
٦٣ رقت لهن دروب البيد، باكيةً ونكست رأسها في الدو أديار
٦٤ حتى بلغن بلاط البغي، وانكشفت عن غي غاصبة الجزار أستار
٦٥ رأس (الحسين) به تلهو بمخصرة كفا (يزيد) كأن لم يشفه ثار
٦٦ غبن البطولة، آه، زينب هتفت ترمي الكلام كما تصطك أشفار
٦٧ او كالرماح، وقد حرت بها حمم او كالسهام اذا ما شد أوتار

٦٨ ترنو لرأس أخيها، الطرف منكسر إلى (يزيد) بها للطرف أظفار
٦٩ ولهى وتهتف:ما للبطل مجترئاً قوتلت، بطل، وما أقساك من أقدار!
٧٠ مهلاً،(يزيد) ولا تغررك منزلةٍ كل الطغاة، إذا عدوا، لأصفارُ
٧١ إلى خطابك قد ألجئت مرغمةً صغار قدرك لم يكبره إنكار
٧٢ استعظم الأمر ان آتي مقرعةً: قد رمتهم مغنماً، من مغرم صاروا
٧٣ تكيد كيدك، تسعى السعي مزدهياً وحول عنقك كالحيات أوزار
٧٤ تشري الضمائر، لكن ظل مذكراً لاتنسها، ما لأهل البيت أسعار
٧٥ لا لن تميت لنا وحياً ولا نسباً باقٍ لنا في قلوب الحب تذكارُ
٧٦ نهز عرشك في الجلى نزلزله لنا النعيم، لك الويلات والنارُ
٧٧ يوم (الحسين) هم الأحفاد انهارُ في العالمين، لهم دفق وتيارُ
٧٨ مذ ضيم لبنان، واغتر الغزاة به كانوا الفداء، ورد الأرض ثوارُ
٧٩ ورددوا قوله، والدهر رددها: ما ضاع حق به صك وإقرارُ
٨٠ (القدس) عاصمة في الأرض قائمةُ وفي السماء لها بالروح أعمار

ثانيا : الدراسة

لا يخفى على دارسي الأدب بشكل عام والشعر بشكل خاص خصوصية استعمال الشعر للغة، فالشعر كلام بلاغي إبلاغي، إذ يسعى الى وظيفة جمالية تتواشج مع الوظيفة الابلاغية ولغة الخطاب العادي لا انزياح فيها في حين أن شعرية الأدب تقوم من جملة ما تقوم على الانزياح لان الشعر في استعماله للغة يحاول استغلال كل طاقاتها المعجمية والصوتية والتركيبية والدلالية ومن تواشج هذه العناصر تنبعث الوظيفة الجمالية، وكلمة البلاغة تعني بلوغ الأشياء المقصودة من وراء الكلمات، وقد حاول شاعرنا توظيف مفردة الشهادة المتجسدة في شخصية الإمام الحسين (عليه السلام) وحدثها البارز ملحمة كربلاء الخالدة.

يعد الحدث تقنية سردية ومفصلية في النص السردي وسمة رابطة بين عناصر بنيته، تجتمع تحت شمولية بنائه اقانيم السرد وأساليبه، ويتخذ لظهوره

عنصرا سرديا أو عناصر سردية عدة، تتكلف بالوشاية به، ويمكن القول إنه أكثر عناصر البنية السردية استدعاء للعناصر الأخر، يجذبها جذبا، ويستنفذ ما تستدعيه هيمنته على البناء السردي للنص، ولم يتخل الحدث عن ماهيته ووظيفته مذ نشأته التي تمتد إلى أرسطو حين قسم المأساة إلى عناصر ستة تمثلت في الحبكة والشخصية واللغة والفكرة والمشهد والغناء، وعد أرسطو الحبكة روح التراجيديا وقدمها على غيرها [١].

ولما كان الحدث عنصرا سردياً شاملاً، وبناء سردياً جاذباً، فلا ريب أن تتشظى المقولات النقدية وهي تنقر في ماهيته، ودلالة المصطلح عليه، فقد اقترن الاصطلاح السردي للحدث بمصطلح الحبكة، وأوجد بعض النقاد مرادفا ثانيا له، اصطلحوا عليه العقدة، وميز آخرون بينهما مستعينين بالبنية اللفظية واللغوية، وما تؤديه ترجمتها إلى العربية، فوجدوا أن ترجمة الحبكة تعني مجموعة من الوقائع الجزئية مرتبطة ومنظمة على نحو خاص، وهي أدق من ترجمة العقدة [٢]، وتتداخل الحبكة مع الحكاية، بيد أن التفريق بينهما يعتد بوجود عنصر السببية، فالحكاية مجموعة أحداث مرتبطة زمانياً، والحبكة سلسلة أحداث يؤكد فيها على الأسباب والنتائج [٣]، واجترح الشكلانيون الروس للحكاية مصطلح (المتن الحكائي) وللحبكة مصطلح (المبنى الحكائي) [٤].

والشكلانيون في فصلهم هذا إنما يفرقون بين أحداث وقعت وأحداث تروى، فالمبنى الأحداث المذكورة حسب النظام الذي وردت عليه في القصة أي حسب النظام الذي قدمها به الكاتب، وحسب الترتيب الذي وصلت به للقارئ، والمتن مجموعة أحداث مروية كما نتصورها وقعت خارج القصة[٥]، وتشكل مجموعة التقنيات السردية بحسب الدراسات البنيوية محتوى التعبير (القصة) في حين يشكل التعبير الفني عن المحتوى مجمل الأحداث (الخطاب)[٦].

ويتخذ الحدث بنى شكلية تمثل خلاصات، تؤدي وظيفة أساسية في السرد كالكتابة التلغرافية للأحداث وبنية التلخيص السردي للأحداث، وبنية تلخيص

خطاب الشخصية [٧]، وكان الشكلانيون الروس قد كشفوا في دراساتهم عن وجود أنساق عدة للأحداث، أطلقوا عليها التضمين والتأطير والتتابع والتوازي والتحفيز والاستدارة والتنضيد والنظم والخلط [٨].

وأعمل تودروف نظره في أنساق الشكلانين، ومحّص بعضها، فاختزلها إلى ثلاثة أنساق هي التسلسل والتضمين والتناوب [٩]، ويعني تعدد الأنساق ارتباط تسلسل الأحداث بنوع الحكاية، ولما كانت الحكايات كثيرة، فقد ارتبط كل نوع بتسلسل خاص به [١٠].

إن الحدث محور أساس في القصة ترتبط به عناصرها، وتطفو به معالجة الكاتب لها [١١]، وتعني شموليته وسمة الجذب فيه أن يتداخل بنائيا مع تقنيات سردية أخر، فهو فعل الشخصية وحركتها [١٢]، وفضاء تتعايش به الشخصيات ينبع منها ويقع بفعلها [١٣] الذي يقترن بالزمن ولا تقوم القصة إلا به [١٤]، ويقتضي وجود الحدث إطارا مكانيا، فلا يكون في لا مكان [١٥]، كما أنه يتقيد بزمن، فالزمن والمكان وعاء الحدث [١٦]، ووقوع الحدث يعني حصول تواشج وتكامل سردي بين المكان والزمن والحدث والشخصيات [١٧].

ويبدو أن بعض النقاد ظل متمسكا بأوليته في القصة، ورافضا البحث عنه في النصوص الشعرية إذ تشير تاريخية الحدث إلى أن أرسطو استظهره في القصة ثم نقل إلى الشعر، ولما كان الشعر يحطم كل القيود ويرفض العقلنة، وشى بعض النقاد باستحالة البحث عن حبكة شعرية، على حين دأب الكلاسيكيون الجدد إلى الإعتقاد بوجود الحبكة [١٨].

ومهما يكن من أمر فإن تماهي الحدود الفاصلة بين الأجناس الأدبية وزئبقيتها غيرت في أبنية القصيدة وصيرتها ذات طابع نثري [١٩]، فاقتربت من القصة، واقتربت القصة من القصيدة، وكان الإيقاع صلة وصل بين الشعر (النثر) والقصة القصيرة، فهو في النثر ترتيب للكلام يقربه من اللغة العادية [٢٠].

ولا يعني ذلك فرادة النثر، إذ لا يخلو الشعر الموزون من سرد شعري

حكائي يتشقق عن رؤى وأحداث نسجت شعريا، يحدها زمن ومكان [٢١]، لاسيما إذا خلق الشاعر حدثا روائيا في نصه، أو واقعة تاريخية تعاقبت عليها الأجيال، ذلك أن النص الروائي يحتفظ بثيمته السردية على الرغم من انقياد الشعر للوزن والقافية، فقد همش راوي قصيدة ملحمة الحسين سلسلة الرواة التاريخيين وخلق الحدث شعريا [٢٢].

وما يهمنا من ميكانيزمات السرد الحدث وبناؤه السردي الذي أقامه الراوي على بؤرة تمثلت في استشهاد الأمام الحسين (عليه السلام)، إذ بني النص (ملحمة الحسين) بناء مباشرا بتصريع البيت الأول، واستحضار البسيط بنية صوتية له، دلف فيه الراوي إلى الموضوع من دون أن يبسط له بتمهيد يستميل به المتلقي إليه، ولا شك أن الراوي عليما بحدث النص ويشاركه المروي له في علميته إذ تقوم قصة استشهاد الحسين (عليه السلام) حتى حدث أصبح متداولا بين أجيال المروي له زمنيا، وأسهمت هذه التداولية في اتحاد الأفق الشفاهي للراوي والمروي له بوساطة استحضار الشخصية المروي بها الحدث [٢٣]، وباستدعاء الشخصية / البطل تتحقق التواصلية في الإرسال والتلقي [٢٤] من دون حاجة إلى تهيئة ذهن المروي له لما سيلقي إليه الراوي، وما بيت الاستهلال في أول النص إلا ثيمة جزئية أراد بها الراوي كونية الحدث وشموليته:

(١) على الضمير دم كالنار موار إن يذبح الحق فالذباح كفار

إن الاكتفاء بشمولية مدخل النص لا تعني عائمية الدلالة، بل تشي بالقصدية في السرد، فاللغة (يذبح / الحق / كفار) دالة في معناها على ما سيليها، وعلى ماكتنز في ذهن المروي له إذ تحيلنا اللغة على فضاءات شرعية ينتمي إليها الحدث، وذلك مما تتداوله الفضاءات المقدسة [٢٥] على أن اللغة نفسها تكاد أن تتكلف بقصدية الدلالة على شخصية الإمام الحسين (عليه السلام)، فهو (ذبيح الحق)، وليس أدل على ذلك من عدم حاجة بيت الاستهلال إلى التطويل، بل اقتضى أن

يوصل بمدلوله مباشرة :

(٢) دم الحسين سخي في شهادته ما ضاع هدرا، به للهدي أنوار

ولما كان الحدث من المرويات القديمة التي تعتمد البنية اللفظية (قال) أو مرادفاتها في رواية أحداثها [٢٦]، فلا ريب أن تكون مقولات الشخصية مهيمنة على ظهور الأحداث في بنية النص [٢٧] :

(٤) قال الأئمة، وائتمت بهم أمم قال الخصوم وصدق القول إصرار

(١٥) رد (الحسين) بـ(لا) كالسيف صارمة وسيد الحق بـ(اللاءات) زأار

(٢٢) صلى مليا، فأغفى راودته رؤى إن جده قال، ما في القول إضمار

(٢٨) قال (الحسين): (مشيناها خطى كتبت) إلى الجهاد، وإلا هدنا العار

(٦٦) غبن البطولة، آه، زينب هتفت ترمي الكلام كما تصطك أشفار

وارتد الراوي إلى ذاته في جزئية واحدة من الحدث، مبئرا إياها في استذكار زمني ما ضوي، مستنفذا بذلك دلالة السرد، ومستحضرا شخصيات / أبطال روى بوساطتها :

(٤٩) ذكرتني كأس سم راح يجرعها (سقراط) حرا، ولم تأسره أفكار

(٥٠) ذكرتني رأس (يوحنا) به حلمت أحدى العواهر، والظلام عهار

(٥١)ذكرتنيه (يسوع) الحق، مرتفعا على الصليب وفي كفيه مسمار

على أن الاستذكار الزمني للأحداث الماضية يذهب بالراوي، وهو يبئر ذاته، وطائفة من المروي له إلى خارج الفضاء المقدس (الإسلامي) [٢٨]، ويرتد إلى فضاءات عقائدية مقدسة أخر، فيسرد في وجهة نظر آيديولوجية، ذلك أن (سقراط / يوحنا / يسوع) شخصيات محوزة من وجهة نظر طائفة من المروي لهم آيديولوجيا.

ويتجه الراوي في خاتمة نصه إلى رؤى حلمية مخيالية في يوتوبيا سردية طامحة إلى الحصول على أمنياتها المفقودة مثاليا، حتى ولو كان في سرد حدث غير ممكن التماثل مع الواقع :

(٧٨) مذ ضيم لبنان، واغترالغزاة به كانوا الفداء، ورد الأرض ثوار
(٧٩) ورددوا قوله، والدهر رددها: ما ضاع حق به صك وإقرار
(٨٠) (القدس) عاصمة في الأرض قائمة وفي السماء لها بالروح أعمار

لقد بدا سرد أحداث النص دائريا في خطوطه إذ ابتدأ بيوم الحسين(عليه السلام)، وعاد إليه ولا شك أن يوم الحسين (عليه السلام) هو واقعة الطف، وهو بؤرة الحدث ومرتكز تشظياته، ويؤكد المؤرخون أن زمن الحدث لم يكن طويلا وأسهم انحسار عنصر الزمن في بؤرة الحدث في دفع الراوي إلى تكرير تدوير بنية الحدث للنفاد إلى بنية أحداث أخرى قبل الإلتفاف إلى بداية حدثه، فشقق بؤرتين متساويتين في الحبكة ومختلفتين في الاتجاه، تمتد الأولى إلى أفق يسبق لحظة وقوع الحدث، وتنفتح الثانية على أفق ظل مستوعبا لما يدلف إليه في المستقبل:

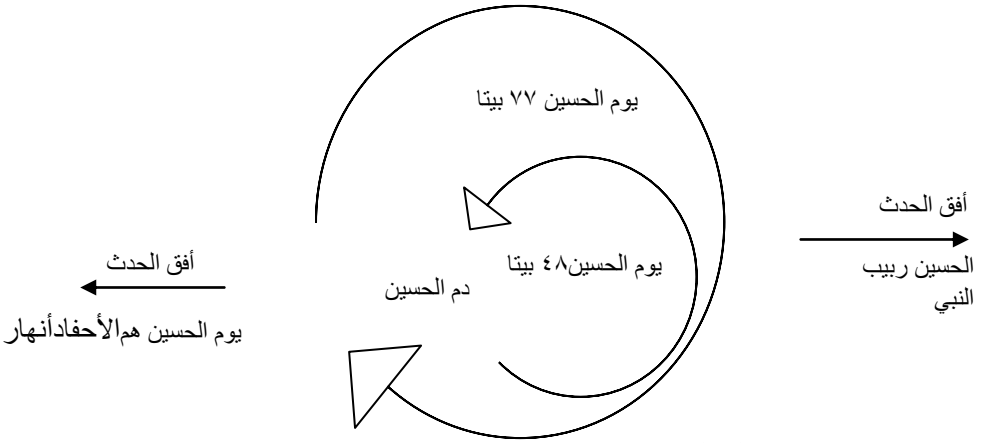

ولا شك أن أزمان الأحداث في الارتداد والاستباق غير متطابقة، بل متضادة دلالياً [٢٩] وذلك مما يجعل حدث النص الرئيس يتناسل في بنيته الكبرى، في شقق عن أحداث أخر تشكلت في بنية داخلية، دفعت بالسرد إلى الالتفاف

حولها، وفك البنيتين يشيء بارتكازهما إلى بؤرة واحدة تتمثل في استشهاد الإمام الحسين (عليه السلام)، وتنتهي البؤرتان إلى حدث واحد يستشرف المستقبل (يوم الحسين) وتتجايل في البؤرتين أحداث مركبة دفعت السرد إلى الالتفاف والتداخل في بنيته مرات عدة ،على أن وجود هذه البنيات الحدثية في النص جعله زمنيا يتراوح بين الماضي والمستقبل، وهو في هذا الانقسام محكوم بالظهور السردي للشخصيات، فأحداث الماضي تكلفت بها شخصيات (سقراط /يوحنا/ يسوع) غير شخصيات الحاضر (الحسين (عليه السلام)/ زينب (عليها السلام)/ يزيد)، كما أن أحداث المستقبل تكلفت بها شخصيات غير شخصيات الماضي والحاضر (..../.... /....)، ويشي عدم التصريح بشخصيات الحدث في زمنه الاستشرافي بأن الحدث أطل في أفقه على وقائع جديدة ستظل مفتوحة على ما يأتي من الزمن، وكلما إلتف السرد ارتكز على حدث جديد آخر ينطلق منه في خلق بنية صغرى تنبعث عما قبلها، وتنتهي بنهايتها :

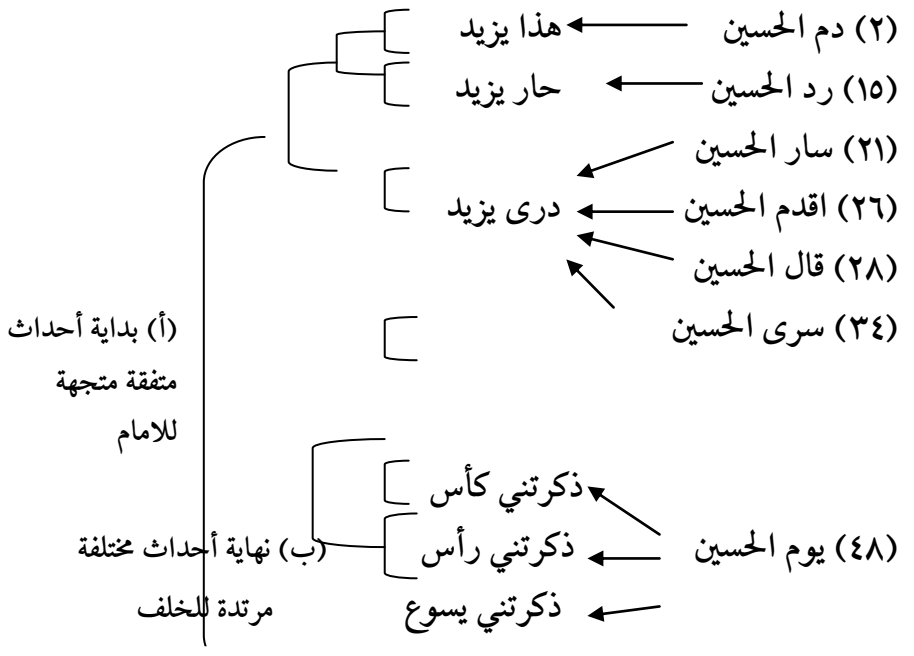

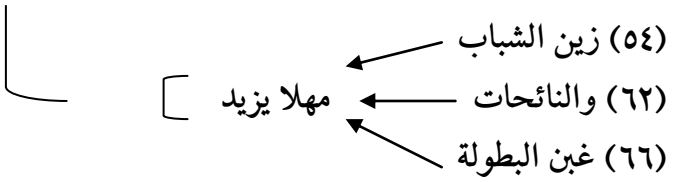

إن ارتداد الحدث زمنيا إلى ما قبل زمن وقوعه، (تشابه في التاريخ)، وتسيد بطولته الشخصيات التاريخية والعقائدية (سقراط / حنا / يسوع) جعله امتدادا في أفق حدث النص إلى زمن سابق عليه [٣٠]، على أن التشابه التاريخي الذي دفع بالحدث الثاني إلى الارتداد الزمني يتضمنه تشابه دلالي بين الحدثين:

(٥٢) ظمآن قبلك لا يسقى، وإن كرموا أنا عليه، فكم في الخل إمرار

(٥٣) إن العقائد ما هانت، وما وهنت وإن أحاط بها خطب وأخطار

وفي هاتيك التطابق التاريخي والدلالي يكون الحدث الثاني في ارتداده متصلا سرديا بالحدث الرئيس وجزئية منه، في حين يكون الحدث الأول (الرئيس) امتدادا للحدث الثاني واستشرافا لما سيؤل إليه دلاليا إذ يستقصي واقعة الطف وما يدور فيها والجا به إلى المستقبل، ولما كانت أحداث النص الماضية والحاضرة منغلقة على ذاتها وأحداث النص المستقبلية منفتحة على ما ستؤول إليه الوقائع، فلا ريب أن تكون الأحداث الماضية والحاضرة متراتبة كرنولوجيا في زمنها، ومتطابقة دلاليا على الماضي في أحداثها، فالراوي يعيد سرد أحداث قصة وقعت في زمن يختلف فيه زمن المتن في دلالته على الماضي عن زمن المبنى في دلالته على الماضي، فلا يمكن لزمن الحدث أن يتطابق مع زمن السرد [٣١]، وتتفق حزمة الأحداث في زمن بدايتها إذا كانت متجهة إلى الأمام (أ) وتنتهي نهايات مختلفة إذا كانت متجهة إلى الخلف (ب)، وعلى الرغم من التفاف الحدث إلى بدايته إلا أنه ظل مفتوحا في خاتمته على المستقبل.

وامتاز الحدث بسمة واقعية صيرته ذا صلة بأحداث واقعية لحقت به تتشارك معه في الرؤى وتخالفه في زمن الوقوع، وتتطابق معه في قدسية التضاد المكاني وشرعيته، وكان المروي فيه (المكان) فضاء تاريخيا يمتد إلى ما قبل زمن الحدث، ومستقبليا إلى ما بعد وقوع الحدث، ولا ريب في ذلك، فأفق الحدث لا يطرد إلا باطراد فضائه المكاني الذي يلتحم بالزمن، حيث أن الزمن ذو طبيعة متداخلة وكينونه أو حقيقة سائلة تنداح على العناصر الأخر، وتتشكل بوساطتها(٣٢).

مكة ← كربلاء ← الطف ← لبنان ← القدس ←

ويتبوء الراوي مقعدا قصياً من شخصياته، فيبئر داخلها، ويدلف بوساطة أرخنة الشخصيات إلى تغليف الحدث بأفق زمني متعاكس في الاتجاه مع نقطة انطلاقه، ويمتد في أفقيته إلى ما قبل زمن الحدث، ولا تنتهي أفقيته بانتهاء الحدث، وآثر ذلك في تداخل السرد بين بؤرة وأخرى، فجاءت الشخصيات واشية باستمرار الحدث في اتجاهيه:

النص	أفق الحدث
(٥) أما الحسين ربيب للنبي.....	الاستمرارية
(٨) اما الحسين وريث للعلي.....	النهج
(١٤) هذا يزيد دعي الحكم ينذره.....	العداء
(١٦) فلا خلافة في سفيان تشتار.....	الحرمة
(١٨) حارالوليد فما غدر الحسين سوى....	المبايعة
(٤٩) ذكرتني كأس سم راح يجرعها سقراط حرا....	الحرية
(٥٠) ذكرتني راس يوحنا به حلمت....	الظلم
(٥١) ذكرتنيه يسوع الحق مرتفعا على الصليب.....	ثبات الموقف

(٦٦) غبن البطولة آه زينب هتفت....	البطولة
(٧٤) ما لأهل البيت أسعار....	الاستمرارية

إن استحضار الشخصيات التاريخية أسهم في تحريك زمن النص إلى الأمام والخلف، من دون وجود عنصر الزمن علنا، وأدلج الحدث في إطار الشخصيات التاريخية، فمطّ أفقيا مما استدعى أن يكون المكان حاضنة علنية للشخصيات، وصيرورته حاضنة تاريخية يصل بين الآفاق ويديم إستمراريتها، ويبيح اشتغالها على أحداث الزمن المستقبلي :

النص	الأفق المكاني
(١٩) خسرت ديني وجنات النعيم.....	الخلود
(٢١) سار الحسين إلى ترب النبي.....	القبر
(٢٣) إني أراك ذبيح الطف منطرحا في كربلاء.....	مكان الحدث
(٢٩) نحن النسور سماء الله مسرحنا.....	فضاء الوحي
(٣٠) مضى إلى مكة البطحاء....	التيمن والتفاؤل
(٣٢) من العراق أتته الكتب....	فضاء الحدث
(٥٧) ضجت لهيبك الصحراء مجفلة....	تأطير الحدث
(٥٨) وما الأفق كوكبة إلا عليك بكت.....	كونية الحدث
(٦٣) رقت لهن دروب البيد....	حاضنة الحدث
(٦٤) حتى بلغن بلاد البغي....	استكمال الحدث
(٧٨) مذ ضيم لبنان....	استمرارية الحدث
(٨٠) القدس عاصمة في الأرض قائمة....	الإنفتاح على مكان آخر

ويبدو أن مرجعية المتن الدينية، ومحاولة إيجاد طريقة تقود الى حدثه، أوجبت على الراوي الاكتفاء بمعاني الزمن العامة ذات البعد النفسي، فضلا عن

ذلك فإنها على الرغم من ندرتها إلا أنها خلقت مناخا زمنيا يجري فيه الحدث، ويستمر به، ولا منداحة بينها وبين زمن الأحداث أو الزمن الموضوعي :

النص	أفق الزمن
(١٠) خليفة المصطفى يوم الغدير.....	ماضي
(٢٥) وربي لن أجود بها يوم القيامة.....	مستقبل
(٤٨) يوم الحسين بك الأيام شامخة وقد تشابه.....	حاضر
(٧٩) والدهر رددها.....	مستمر

لقد أسهم تكرير بؤرة الحدث واستحضار الشخصيات التاريخية، وتنويع الفضاءات المكانية في جريان زمن الحدث وإستمراريته، ويجنح الراوي إلى ميكانيزمات سردية أخر، تبدو فيها أحداث البؤرتين مركبة من أحداث أخر، تتشظى عن الحدث الأصل، وترتد إليه بصيغة الحوار، والتندر بالقول :

(٤) قال الأئمة...، قال الخصوم....

(١١) فقال من كنت مولاه...

(١٥) رد الحسين....

(٢٢) ما في القول اضمار.....

(٢٦) أقدم الحسين....

(٢٨) قال الحسين...

(٣٢) الكتب قائلة....

(٦٦) زينب هتفت...

(٦٩) ولهى وتهتف...

(٧١) إلى خطابك قد الجئت مرغمة...

(٧٩) ورددوا قوله....

وينقسم الحوار في السرد على بؤرتين أيضا، تجسد الانقسام في أول النص ومفتحه:

(٤) قـال الأئمـة، وأتمـت بهـم أمـم قال الخصوم، وصدق القول إصرار

ويندرج تحت حوار البؤرة الأولى الرسول (ﷺ) وذريته (عليهم السلام) وأنصار الحسين الثوار في حين يندرج تحت حوار البؤرة الثانية الكفار وأعداء الحسين والخصوم، وكانت صيغة حوار البؤرة الأولى مصرحا بها، وصيغة حوار البؤرة الثانية مسكوتاً عنها، تقوم على الضد والنفي لما يقابلها، وهكذا فإن أحداث البؤرة الأولى تقابلها سلبيتها في أحداث البؤرة الثانية.

إن امتداد الحدث أفقيا لحقه امتداد بتقنيات المروي فيه والمروي به، ولا ريب في ذلك، فالحدث محرك الشخصيات وحامل فعلها في مقولات السرد، واقتضت أقانيم الراوي أن يسرد بالتداخل في بؤره، كما اقتضت أن يكون حدث النص في جزئياته منضدا بالتراكم كرنولوجيا حتى آخر النص، وهذا التراكم والتنضيد يهشم مقولات الشخصيات في الأحداث المتراكمة، كما يقيد أحدثها دلاليا بالحدث الرئيس، فلم نجد مقولات الشخصيات المحايثة للشخصيات العقائدية التاريخية (سقراط / يوحنا / يسوع) منسوجة في الفضاء النصي، وأما إذا ما بدت لنا مقولات الشخصية المحايثة للحسين (عليه السلام) جلية، فإنها مقولات تردف الحدث دلاليا في هيمنة شخصية الحسين (عليه السلام) والشخصيات المصاحبة لها، كما أنها تردف الشخصيات المجايلة للشخصيات العقائدية دلاليا في استبيان دورها المتعارض مع أحداث تلك الشخصيات، ويسهم السكوت والإرداف في امتداد ثيمة حدث النص أفقيا.

هوامش البحث

(١) ينظر : في الشعر : ٦٨.
(٢) ينظر : الأدب وفنونه : ١٥٩.
(٣) ينظر : أركان القصة : ١٠٥.
(٤) ينظر : نظرية المنهج الشكلي : ١٨٠.
(٥) ينظر : مسألية القصة : ٣٩.
(٦) ينظر : بنية الرواية والفيلم- رؤية نقدية في التناظر السردي : ١٠٤.
(٧) ينظر : بنية الشكل الروائي : ١٢١.
(٨) ينظر : نظرية المنهج التشكيلي : ١٢٢.
(٩) ينظر : البناء الفني في الرواية العربية في العراق : ٦.
(١٠) ينظر : كتاب المنزلات : ٣ / ١١٠.
(١١) ينظر : دراسات في اللغة والأدب : ١١٠.
(١٢) ينظر : بناء الحدث في الفن القصصي – رؤية تنظرية : ٤٢.
(١٣) ينظر : أركان القصة :١١١.
(١٤) ينظر : دراسات في القصة العربية الحديثة : ١١.
(١٥) ينظر : الفضاء الروائي عند جبرا إبراهيم جبرا : ١٥٢.
(١٦) ينظر : الأدب وفنونه : ١٥٥.
(١٧) ينظر : م – ن : ١٥٥.
(١٨) ينظر : في الشعر : ٦٨ – ٧٠.
(١٩) ينظر : السردي والشعري- الحكاية المنظومة أنموذجا : ١٢٩.
(٢٠) ينظر : الشمس والعنقاء : ١٦٥ – ١٦٦.
(٢١) ينظر : البنية القصصية في الشعر الأموي : ١٧.
(٢٢) نشرت القصيدة لأول مرة في جريدة البينة، وتقع في ثمانين بيتا، قال عنها سعيد عقل ((بأن هذه الملحمة هي صرخة حق في زمن الباطل على مر الزمان))، وقد رقمنا الأبيات، وأشرنا لذلك في الدراسة تخفيفا للهوامش والإحالات، ينظر : جريدة البينة : ١٦.
(٢٣) ينظر : البنى السردية في شعر أوس بن حجر وشعر رواته الجاهليين : ١٥٤.
(٢٤) ينظر : سلطة المتلقي على النص في الشعر الجاهلي : ١٨٤.
(٢٥) ينظر : التناظر السردي بين المكان المقدس وانتماء الحدث في قصيدة البردة: ١٦٢ – ١٦٣.
(٢٦) ينظر : القول في شعر امرئ القيس – بنيوية اللافظ وسردية الملفوظ : ٩.
(٢٧) ينظر :النص والخطاب والإجراء :١٨٣.

(٢٨) ينظر : اثر القران في الشعر العربي الحديث :١١٩ وما بعدها.
(٢٩) ينظر : تقنيات السرد في النظرية والتطبيق : ١٥٢.
(٣٠) ينظر :نقد الشعر المنهج والمعيار :١٥٣.
(٣١) ينظر : خطوط السرد الملتفة – قراءة أسلوبية في (وجه الشمس الآخر) : ٣٨.
(٣٢) لقد نظر الشاعر الى الصور التي يجسدها سلبيات السلوك الإنساني وظواهر الحياة، وكانها تمثل التطبيق العملي لواجبات الشاعر الرئيسة، ومعالم رسالته في الحياة، بحيث يستطيع الشاعر بهذا اللون من الإبداع الشعري ان يجسد دور الشعر في تقويم الحياة، وبه يستطيع ان يهدي الناس الى أسس نظرية وحدة الوجود القاضية بالعدل والإنصاف الذي رمز له بشخصية الإمام الحسين(ﷺ).

مصادر البحث ومراجعه

١. أثر القران في الشعر العربي الحديث، د. شلتاغ عبود، ط٢، مؤسسة الثقافة الجامعية، الاسكندرية، ٢٠٠٨م.
٢. الأدب وفنونه : عز الدين إسماعيل، ط ٢، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٥.
٣. أركان القصة : أي – أم – فوستر، ترجمة كمال عياد، دار الكرنك، القاهرة، ١٩٦٠.
٤. بناء الحدث في الفن القصصي – رؤية تنظيرية : د. صبري مسلم حمادي، مجلة اليرموك، ع – ٦، حزيران، ١٩٩٨.
٥. البناء الفني في الرواية العربية في العراق : شجاع العاني، أطروحة دكتوراه، آداب بغداد، ١٩٨٧.
٦. البنى السردية في شعر أوس بن حجر وشعر رواته الجاهليين : عواد كاظم الغزي، أطروحة دكتوراه، الجامعة المستنصرية، ٢٠٠٨.
٧. بنية الرواية والفلم- رؤية في التناظر السردي : عبد الله إبراهيم، مجلة آفاق عربيه، ع ٤، ١٩٩٣.
٨. بنية الشكل الروائي : حسن بحراوي، ط ١، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٠.
٩. البنية القصصية في الشعر الأموي : محمد سعيد حسين، رسالة ماجستير، آداب بغداد، ١٩٨٠.
١٠. تقنيات السرد في النظرية والتطبيق : آمنة يوسف، ط١، دار الحوار، سورية، ١٩٩٧.
١١. التناظر السردي بين المكان المقدس وانتماء الحدث في قصيدة البردة : عواد كاظم الغزي، أبحاث المؤتمر العلمي الثاني، كلية التربية، جامعة واسط ،٢٠٠٧.
١٢. جريدة البينة، ع ٢٠٣، ٧ شباط، ٢٠٠٦.
١٣. خطوط السرد الملتفة – قراءة أسلوبية في (وجه الشمس الآخر) : د. بشرى موسى صالح، مجلة الأقلام، ع ٤، س ٣٤، ١٩٩٩.
١٤. دراسات في القصة العربية الحديثة – أصولها، اتجاهاتها، أعلامها : د. محمد زغلول سلام – شركة

الإسكندرية للطباعة، ١٩٧٣.
١٥. دراسات في اللغة والأدب : إحسان خضر الديك، دار المستقبل، عمان، الأردن، ١٩٩٥.
١٦. السردي والشعري - الحكاية المنظومة أنموذجا : د. حاتم الصكر، بحوث الحلقة الدراسة الخامسة، كلية التربية، قسم اللغة العربية، الجامعة المستنصرية، ١٩٩٢.
١٧. سلطة المتلقي على النص في الشعر الجاهلي : عواد كاظم الغزي وآخر، مجلة كلية التربية، المستنصرية، ع٦، ٢٠٠٥.
١٨. الشمس والعنقاء - دراسة نقدية في المنهج النظرية والتطبيق : خلدون الشمعة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٧٤.
١٩. الصوت الآخر - الجوهر الحواري للخطاب الأدبي : فاضل ثامر، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٢.
٢٠. الفضاء الروائي عند جبرا إبراهيم جبرا : إبراهيم الجنداري، أطروحة دكتوراه، آداب الموصل، ١٩٩٠.
٢١. في الشعر : أرسطو طاليس، تحقيق د. شكري محمد عياد، دار الكتاب العربي للطباعة، القاهرة، ١٩٦٧.
٢٢. القول في شعر امرئ القيس - بنيوية اللافظ وسردية الملفوظ : د. عواد كاظم الغزي (بحث مقبول للنشر في مجلة لآداب بغداد في ١٨ / ٩ / ٢٠٠٨)
٢٣. كتاب المنزلات : طراد الكبيسي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٥ - ١٩٩٧.
٢٤. مسألية القصة : الرشيد الغزي، مجلة الحياة الثقافية، تونس، ١٩٧٦.
٢٥. النص والخطاب والإجراء ،روبرت دي بوجراند، ترجمة : د. تمام حسان ،ط١، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٨م.
٢٦. نظرية المنهج الشكلي - نصوص الشكلانيين الروس : مجموعة مؤلفين، ترجمة إبراهيم الخطيب، شركة الناشر المتحدين، المغرب، ١٩٨٢.
٢٧. نقد الشعر، المنهج والمعيار ،د. عبد الحسين عواد ،ط٢، مؤسسة المعارف للمطبوعات، لبنان، ٢٠٠٦م.